

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
•Ңиξнi:⊙:иc:v:иiξx⊗:i.vξ:⊙i.i
X.⊙v.⊙ξχиnc:и:v.χcҢ:cc:qixξжξ:жж:

UNIVERSITE MOULOU D MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes



جامعة مولود معمري -

تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رقم الترتيب:

رقم التسلسلي:

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات نقدية

التخصص: نقد حديث ومعاصر

مذكرة مكملة مقدمة لنيل شهادة ماستر

العنوان:

النص والتأويل عند نصر حامد أبو زيد

إشراف الأستاذ:
مصطفى بلقاسمي

إعداد الطالب:
بن موهوب يو غرطة

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة مولود معمري	أستاذ التعليم العالي	بوجمعة شتوان
مشرفا ومقرر	جامعة مولود معمري	أستاذ مساعد صنف "أ"	مصطفى بلقاسمي
عضوا ممتحنا	جامعة مولود معمري	أستاذ مساعد صنف "أ"	بوعلام إيفلولي

السنة الجامعية: 2020/2019

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وأحمد

الله وأشكره على فضله ونعمته

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم بتحية شكر وتقدير

للأستاذ المشرف مصطفى بلقاسمي الذي كان

نعم الأستاذ ونعم الموجه بنصائحه

الثرية وتوجيهاته القيمة.

الإهداء

إلى من أوتي جوامع الكلم، وسيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم،
إلى الوالدين الكريمين الذين؟؟؟ بالتربية والرعاية
وأوليا لي خالص العناية والاهتمام.
إلى الأساتذة الكرام الذين أفادوني بالعلم والمعرفة
وإلى كل الأصدقاء وكل من ساهم من قريب أو من بعيد لإتمام هذا البحث

يوغرطة

خطة البحث

الفصل الأول: مدخل عام.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي للتأويل.

توطئة:

مفهوم التأويل.

التأويل لغة.

التأويل اصطلاحاً.

الفهم.

الفهم لغة.

الفهم عند شلايرماخر وبلتاي.

الفهم عند هايدغر.

الفهم عند غادامير وأقسامه.

الهيرمنيوطيقا.

أصل كلمة الهيرمنيوطيقا.

علاقة الهيرمنيوطيقا بالتأويل.

علاقة الهيرمنيوطيقا باللغة.

ظوابط التأويل:

أ - الفرضية.

ب - المقصدية.

ت - السياق.

الفصل الثاني: تاريخية التأويل.

المبحث الأول: التأويل في العهد القديم.

في الفكر اليوناني.

في الفكر اليهودي.

في الفكر المسيحي.

الدافع من ظهور القراءة التأويلية.

المبحث الثاني: الإسلام ومشكلة التأويل.

أصول الرؤية التأويلية في الإسلام.

الحدائثون وتأويلية النص القرآني.

أهم القراءات الحدائثة.

الفصل الثالث: نصر حامد أبو زيد والتأويل.

المفهوم التقليدي عند العلماء قديما.

نظرة نصر حامد أبو زيد إلى النص القرآني.

أبو زيد التحليل اللغوي.

المعضلات التي يطرحها أبو زيد لمفهوم النص.

تمييز نصر بين مصدر النص وطبيعته.

المبحث الثاني: تأويل النص عند نصر حامد أبو زيد وتاريخيته.

نصر حامد والهيرمنيوطيقا.

تأويل النص عند نصر حامد أبو زيد.

تسوية نصر بين التأويل والتفسير.

رأي العلماء قديما في التفريق بين التأويل والتفسير.

أ - رأي الزركشي.

بأ -القشيري والأمدى.

دعوة أبو زيد فى القراءة وموافقته للجرجانى.

تحرير القراءة التراثية عند ناصر حامد.

الخاتمة:

استنتاجات نقدية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

مقدمة

مقدمة:

لقد تواترت الدراسات القرآنية التي تغني بتأويل الخطاب القرآني وتكاثرت، وتطورت مباحثها، واتسعت مجالاتها حتى غدا مصطلح "التأويل" على أيامنا مصطلحا تتقاسمه كثير من العلوم والفنون.

في مجال الأدب، فقد تهافتت عليه كثير من الدراسات النقدية العربية حتى غدا هذا المصطلح "درجة" استأثرت باهتمام الراصدين للحركة التطورية للنقد العربي المعاصر. وإذا كانت إجماليات التلقي وراء الهالة التي لازمت مفهوم القراءة، فإن الهرمنيوطيقا - بما يكتنفها من ضبابية وغموض - وراء كثير من الملاحظات التي خالطت مصطلح التأويل، واعترت كتاباته.

ومن تلك المحاولات المعاصرة التي سعت إلى تأويل الخطاب القرآني تأويلا حديثا يتمشى ومعطيات المناهج النقدية الحديثة نقدا وتحليلا، محاولة الأستاذ ناصر حامد أبو زيد التي سعت إلى تقديم قراءات عميقة لمفهوم النص وتأويله بوصفه مرتكز المعرفة، أو مصدر إنتاج والحضارة عموما.

ولما كانت حاجة العصر تقتضي سلوك درب البحث العلمي الأكاديمي، والابتعاد عن الأحكام المسبقة لمجرد سماع قول أو رأي قد توافقه أو تخالفه، اتجه النظر إلى فحص أو به الإفادة من فكر الأستاذ نصر حامد أبو زيد.

الفصل الأول

لابد لكل باحث من ضبط المجال الذي يدور فيه، والمفاهيم العاملة التي يعتمد عليها فيتعين بذلك موقعه من الدراسات والاختصاصات المتنوعة المتداخلة، بحيث يتمكن المتلقي - جراء ذلك - من ضبط مفاهيم المفاتيح التي تسمح له بالولوج في البحث، وهي مفاتيح قائمة على تلك المفاهيم بطبيعة الحال، وهذه ضرورة ابستمولوجية معروفة. ولعل من الأجدى قبل الشروع في عرض مفهوم "النص والتأويل عند حامد أبو زيد الكشف عن مفهوم التأويل لغة واصطلاحاً، ثم محاولة التمييز بينه وبين مصطلحات تمازجت به.

مفهوم التأويل:

لا يمكن للإنسان أن يخوض في أي علم من العلوم ويحكم عليه إلا بعد أن يقف على حد هذا العلم وتعريفه، فيتصوره تصوراً صحيحاً سلمياً فالحاكم على الشيء فرع عن تصوره والطريق إلى التصور الصحيح، هو التعريف السليم وتعتبر الظاهرة التأويل ضاربة في أعماق تاريخ الثقافة الإنسانية لأنها ظاهرة محايثة بطبيعتها لوظيفة اللغة باعتبارها نظاماً من العلامات وملزمة أيضاً لوظيفة الفكر باعتباره نشاطاً يهدف إلى استتكار مدلول تلك العلامات.

1 - التأويل لغة:

قال صاحب القاموس المحيط: "وأوله إليه رجعه... وأول الكلام تأويلاً، وتأوله دبره وقدره ونشره والتأويل عبارة الرؤيا"، "وَأَلْ يُوْوِلُ أَي رَجَعَ، قَالَ يَعْقُوبُ: يَقَالُ "أَوَّلُ الْحَكْمِ إِلَى أَهْلِهِ، أَي أَرْجَعُهُ وَرَدَّ إِلَيْهِمْ"¹. ورد في لسان العرب مادة (أول): الأول: الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومالاً: رجع، وأول إليه الشيء رجعه، وألت عن الشيء ارتددت² وقد أطل ابن منظور - رحمه الله تعالى

¹- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج 3، 1983، ص331.

²- ابن المنظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ج11، ص33.

– النفس في بيان معنى هذه الكلمة، وأهم ما تحيل إليه كلمة (أول) هو الرجوع، وتفيد أيضا الارتداد.

أما جميل صليبا فيرى أن التأويل مشتق من الأول واستناد إلى ذلك يرى أن التأويل "في اللغة هو الترجيح" ويتابع بأننا نقول: "أوله إليه رجعه"¹ وهذا المعنى هو الأصل اللغوي.

2 – التأويل اصطلاحاً:

والمقصود ب (اصطلاحاً) إذا أطلقت بحسب العلم عليه أهل ذلك العلم فيما بينهم

تحديداً له كما قال النظام:

إن مبادئ كل علم عشر الحد والموضوع ثم الثمرة فتعريف التأويل اصطلاحاً هو حده عند أهل الأصول ومعهم علماء الكلام كذلك.

قال أبو الحسن الأمدي رحمه الله تعالى: التأويل "هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتمال له بدليل يعضده"².

ولعل أوضح تعريف له هو تعريف أبو محمد يوسف ابن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى قال: "التأويل صرف اللفظ عن الاحتمال الراجع إلى الاحتمال.

المرجوح لاعتضادى بدليل يدل على أن مراد المتكلم بكلامه ذلك الاحتمال المرجوح"³.

كما يقدم لنا ابن رشد مفهوماً بعيداً للتأويل حين يقول: "ومعنى التأويل هو إخراج النص من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من حيث تسمية الشيء أو تشبيهه بسببه، أو لاحقه، أو مقارنه، وإذا كان الفقيه يفعل ذلك في كثير من الأحكام الشرعية، فكم بالعربي أن يفعل ذلك صاحب علم البرهان.

فإن الفقيه إنما عنده قياس ظني، والعرف قياس يقيني ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى

إلى البرهان، وخالفه ظاهر الشرع ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي"⁴.

¹ -جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان، 1994، ج1، ص234.

² - الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام – دار الصميعي – 2003 – المملكة العربية السعودية – ج3 ص48.

³ - أبو محمد يونس ابن الحافظ أبي الفرج بن الجوزي: الإيضاح لقوانين الإصلاح، مكتبة مبدولي، مصر، 1995، ص20.

⁴ -نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ط1، 2000م.

وباقى تعريفات أئمة الأصول والكلام متقاربة إذ كلهم يحومون حول معنى واحد. أما في علم التفسير، والذين وقفوا على تفسير آية أتت ويل في سورة آل عمران "... وما يعلم تأويله إلا الله..." رأوا أن التأويل يعني التفسير، بينما نجد أن بعض المفسرين الآخرين وعلماء القرآن يرون خلاف ذلك ويقدمون أن هناك فوارق بين المصطلحين، لخص ذلك صاحب البرهان الإمام الزركشي قائلا: قال الراغب تفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ، والأكثر استعمالا التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير تستعمل في غيرها، والتفسير أكثر ما يستعمل في مباني مفردات الألفاظ"¹.

فيبدو من خلال هذا الشرح أن التأويل مرتبط بالمعاني، أما القسر فمرتبط مع الألفاظ والمفردات، وإذا كان هذا فالتأويل له ارتباط بأعمال العقل والاجتهاد في استنباط المعاني والأحكام من النصوص في مقابل التفسير الذي يتعلق بالرواية.

يقول محمود محمد ربيع: ما وقع مبينا في كتابا الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا لأن معناه ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرض إليه بإجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه، والتأويل ما استنبط العلماء العاملون للمعاني الخطاب الصاهون في آيات العلوم"².

أما صليبا فيرى أن التأويل مشتق من الأول، واستنادا إلى ذلك يرى أن التأويل "في اللغة هو الترصيع"

لكن أمرها ؟؟؟؟؟ عليه الغمام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى قال في "مجموع الفتاوى" ".....لفظ التأويل "

قد صار سبب تعدد الاصطلاحات ثلاثة معان:

¹ - الزركشي: البرهان في علوم القرون، تج: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجبل، بيروت، لبنان، 1988، ج2، ص149.
² - محمد محمود ربيع: اسرار التأويل- الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1993، ص45.

أحدها: أن يراد التأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام وإن وافق ظاهره وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة.

لقوله تعالى: (هل ينتظرون إلا تأويله يوحد بأني تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق على الأعراف: 52)، ومنه قول عائشة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك ربنا و لك الحمد، اللهم أغفر لي، بتأويل القرآن".

والثاني: يراد بلفظ التأويل: التفسير، وهو اصطلاح كثير من المفسرين، ولهذا قال مجاهد -إمام أهل التفسير- "إن لا الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابهة، فإن أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه، وهذا مما يعمل الراسخون.

والثالث: أن يراد بلفظ (التأويل) صرف اللفظ عن ظاهرة الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك لدليل منفصل يوجب ذلك وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفا لما يدل عليه اللفظ وبينيه، وسمية هذا تأويلا لم يكن بني عرق السلف وإنما سعى هذا وحده تأويلا طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام، وظن هؤلاء أن قوله تعالى "وما يعلم تأويله إلا الله): آل عمران: 7)، يراد به هذا المعنى، ثم صاروا في هذا التأويل على طريقين... إلخ¹.

الفهم:

لو رجع الناظر إلى لسان العرب لوجد أن أصل مادة (ف ه م) تفي: معرفتك الشيء بالقلب، فهمه فهما وفهما وفهامة: علمه... وفهمت الشيء: عقلته وعرفته².

يقول الدكتور عادل فاخوري "إن الفهم هو نمط خاص في الأفعال الإنسانية يتم به التمييز بين الأحداث الإنسانية التي تستهدف غاية ما، عن غيرها من الأحداث"³.

¹- أبو العباس أحمد بن تيمية: مجموع الفتاوى - مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، السعودية - 2004، ج4، ص68.

²- ابن منظور: لسان العرب.

³- د. عادل فاخوري: تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ط1، 1990، ص90.

فالفهم عند شلايرماخر بوصفه فهما، هو عملية إعادة معايشة للعمليات النصية لمؤلف النص، فالمتحدث أو المؤلف يبني جملة، وعلى المستمع أن ينفذ إلى داخل بناء الجملة، وبناء الفكرة، وبذلك يكون التأويل من لحظتين متفاعلتين: اللحظة اللغوية واللحظة السايكولوجية (بالمعنى العريض لكل ما تشمل عليه الحياة النفسية للمؤلف) ¹ حيث يصطلح التأويل اللغوي بتحديد المعنى وفقا لقوانين موضوعية هامة، بينما يذكر الجانب السايكولوجي من التأويل على ما هو ذاتي فردي...²

أما عند "دلثاي": هو أقل ما يميز العلوم الإنسانية في تعارضها مع العلوم الطبيعية، وهو ما يسمح بفك شفرة الإشارات والتغيرات فالفهم هو الاسم الذي يطلق على العملية التي تصبح بها الحياة العقلية معروفة من ثانيا تغيراتها المعطاة للحواس.³

إن الأساس الذي استند عليه "دلثاي" في محاولته الرامية للتمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، هو تمييز في الحقيقة بين التفسير "ومجاله العلوم الطبيعية، والفهم" وميدانه الإنسان وهذا الأمر تؤكد المقلدة المشهورة له:

« Nous expliquons la nature mais nous comprenons la vie de l'âme »

"نحن نفسر الطبيعة، أما الإنسان فعلى فهمه"⁴.

إن فالفهم يتعلق بالإنسان، أو بالأحرى بالعلوم الإنسانية وتنتج من أفكار، وفهم هذا الفهم لابد من الاعتماد على النظرية التأويلية.

فالنظرية التأويلية أو نظرية الهيرمنيوطيقا تعتمد على الفهم النصي في أبعاده المختلفة سواء كانت هذه الأخيرة خفيفة، أو متجلية، ولذلك نجد غادامير في كتابه الحقيقة والمنهج والذي يمثل الاتجاهات الكبرى في فن فلسفي وهو عبارة عن ثورة استيمولوجية في قضايا

¹ - عادل مصطفى: فهم الفهم مدخل إلى الهيرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير - رؤية للنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة الأولى 2007، ص99.

² - المرجع نفسه، ص104.

³ - صلاح قنصوة: الموضوعية في العلوم الإنسانية، عرض نقدي لمناهج البحث، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع 2007، ص177.

⁴ - مجلة فكر ونقد، العدد 25، جانفي 2000، محمد شوقي الوين كلايفس، هرمنيوطيقا، مفتاح التأويل في قراءة للتراث الإنساني.

التأويل المعاصر، يذكر عبارة مختصرة في لفظها ولكنها لها دلالات عميقة فهو يعتبر: "أن كل فهم هو تأويل"¹.

أما هايدغر فيري أن الفهم: "هو قدرة المرء على إدراك إمكانات ضمن سياق العالم الحياتي الذي وجد فيه، فالفهم ليس موهبة خاصة أو قدرة معينة على الشعور بموقف شخص آخر فالفهم يعد أساسا للغة، والتأويل هو إظهار الفهم والتصريح به، ومن هنا فالهيرمنيوطيقا تأخذ بعدا أنطولوجيا"².

إن الفهم عند هايدغر مصطلح خاص يتجاوز بنية مسبقة معينة تفعل فعلها في كل تأويل، وبهذا التوكيد على البنية المسبقة للفهم، يتجاوز هايدغر النموذج القديم للموقف. التفسيرى (نموذج الذات والموضوع، لأن النص عنده صار تجربة وجودية تتجاوز الإطار الذاتى والموضوعى).³

ويرى غادامير أن الفهم ينقسم إلى قسمين:

أ - الفهم الجوهرى: وهو فهم محتمل الحقيقة.

ب - الفهم القصدى: وهو فهم مقاصد وأهداف المؤلف.

والفهم القصدى عند غادامير أو كما يسمى في علوم الشريعة الفهم "المقاصدى" هو الموضوع والمكمل للفهم الجوهرى، وقد اعتبر علماء المقاصد أن للشريعة حكم ومعان وفيات أراها الشارع، وليس بالضرورة أن تظهر في سائر أنواع الأحكام إذ هناك أحكام تعبدية لا يلجأ العلماء إلى بحث في مقصد الشارع من تشريعها.

الهيرمنيوطيقا: Herméneutique

يعتبر موضوع "الهيرمنيوطيقا" أهم أحد القضايا التي يجب أن تدرس دراسة دقيقة متى نتم عملية التنظيم بشكل علمي ومنهجي حتى لا يتم إختزال المواقف الفكرية والمنهجية في مجرد انفعالات عاطفية تحجب الحقائق.

1

2

3- أحمد معتصم السيد: الهرمنيوطيقا في الواقع الإسلاميين حقائق النص ونسبية المعرفة، دار الهدى بيروت الطبعة الأولى 2009، ص47.

والهرمنيوطيقا مصطلح من أصل يوناني وترجع نسبة إلى هرمس (Hermes)¹، الذي كان يتقن لغة الآلهة ثم يترجم مقاصدها وينقلها إلى بني السير، وهو إذ يفعل هذا كان عليه أن يعبر المسافة الفاصلة بين تفكير الآلهة وتفكير السير، فهو إذن يحمل النبأ الجلل "... فلا يمكن أن يكون الإنسان (هرمسيا)، أي حاملا للرسالة، إلا إذا كانت له القابلية لعملية التجلي"².

وقد ارتبط هذا المصطلح عند الغربيين بفن التأويل³، وعند النظر إلى المعاجم الأجنبية نجد أن كلمة التأويل *interprétation* أي شرح نص لا يظهر معناه واضحا. أما (Herméneutique) الهرمنيوطيقا فهو مصطلح يقابل التأويلية المستقوية من التأويل.

أي الهرمنيوطيقا هي تأويلية النص الفلسفي أو الديني وناصة الإنجيل (النص المقدس).

إذن الهيرمنيوطيقا عند الغرب ترتبط بالنص المقدس القديم (الإنجيل) كما ترتبط بكل ما يتعلق بالعلوم الإنسانية من أنواع النصوص الأخرى، ويترجمها بعض المفكرين العرب بالتأويلية، يقول عادل مصطفى: ثمة عدة تعريفات مختلفة للهيرمنيوطيقا، كما تطورت الأزمنة الحديثة منذ البداية كانت الكلمة تشير إلى علم التأويل، وبخاصة مبادئ التفسير النصي القويم⁴.

وقد اتسع مجال الهيرمنيوطيقا وأعطيت له دلالات أخرى مع شلايرماخر، فحول المصطلح في تطابق الأموت وتفسير النصوص الدينية إلى تفسير كل النصوص، وقدم هيرمنيوطيقا موضوعية *Objectif Herméneutique* تقويم على فهم الوسائط اللغوية التي

¹ - دحمانيه مليكة: هيرمنيوطيقا النص أو فلسفة تأويل النص، محاولة لتحديد المصطلح، المركز الجامعي، البويرة، بحث على النت.

² - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 2003، ص34.

³ - محمد تسوقي الزين: مفتاح التأويل في قراءة التراث الإنساني، مجلة فكر ونقد، السنة الثالثة، العدد 28، أبريل 2000.

⁴ - عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهيرمنيوطيقا، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 2003، ص25.

يسلكها ويعتمدها المؤلف للتعبير عن فكره يقول: "إن مهمة الهيرمنيوطيقا في فهم النص كما فهمه مؤلفه، بل أفضل مما فهمه"¹.

"فعلى يد شلايرماخر تخلت الهيرمنيوطيقا عن مهمتها الأولية المتمثلة في متابعة المعنى لتصب جل اهتمامها على وضع القوانين والمعايير التي تضمن الفهم المناسب للنصوص أيا كانت هذه النصوص في تحققها الملموس"².

ضوابط التأويل:

هناك مجموعة من الضوابط التي تشترط كبار منظري الهيرمنيوطيقا توافرها في القراءة التأويلية من أجل أن تكون قراءة مؤسسة ومثينة، ويمكن اعتبار هذه العناصر بمثابة شروط تؤسس جوهر القراءة التأويلية، ولعل أبرزت لكم العناصر:³

أ - الفرضية:

عندما يعهد القارئ إلى تأويل نص ما، فإنه ينطلق في قراءته من معرفة قبلية بالنص، وتتقدم هذه المعرفة أبجديات الإدراك الجمالي، ومن دونها سيتعصي النص على الفهم، وتستغل معالمة، حيث يسميها "هانس انخن" بالفرضية، والتي قد لا تكون واحدة فرضيات، لأثبت كيفما اتفق، بل يجب أن تخضع لبديهيات العقل والمنطق، يقول هانس: "إنني أدرك فهو تأويل النصوص كما سبق لماكس وبيير وويليام دالتاي أن أكد أي تكوين مشاريع فهم، أي تكوين فرضيات، ولأن الأمر يتعلق بفرضيات فلا بد من فحص معقوليتها".

إذن نستخلص أن المعرفة الأولية بالنص - أي الفرضية - عتبات التأويل، ونخوض غمارة متزودين بما يمكن أن يبلغنا غايتنا "فنحن لا نتلقى النص في ظروف محددة، بل نلتقيه خارج إطار الزمان والمكان، متجددين بجملة من الأسئلة التي تمثل الأساس الوجودي لفهم النصوص ومن ثمة تفسيره وتأويله".

¹ - عادل سعيد: في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2002، ص87.

² - شرفي عبد الكريم: من فلسفة التأويل إلى نظريات القراءة، ط1، الدار العربية، بيروت، لبنان، 2007، ص24.

³ - عبد الملك مرتاض: التأويلية بين المقدس والمدنس، علم الفكر، بيروت، لبنان، سبتمبر 2000م، ص263.

با - المقصدية:

تمثل المقصدية عنصرا محوريا من العناصر المساعدة على ضبط القراءة التأويلية وتوجيهها، فلا يمكننا أن ندعي تأويلا محددًا ما لم نفترض سلفا قصد المؤلف الذي يعد محرك ذلك التأويل وموجهه، وقد يكون من السخف تسيير النصوص بمعزل من غايات أصحابها المنشئين لها، وكأنها ليست مرآيا تعكس أحوال أصحابها، وما يعتلج في صدورهم. فالتأويل الناجح حسب الأستاذ عبد المالك مرتاض هو ذلك الذي يحاول إعادة صياغة القصد الأصلي للمؤلف وبين أهميته وكذا حقيقته، وفي هذا السياق يقول الأستاذ: "هل يمكن قراءة شعر عمران عن حصان في إطار مقصدية شعر امرئ القيس أو شعر حسان بن ثابت في إطار مقصدية عمرو بن ربيعة"¹.

السياق:

للسياق أهمية كبرى في القراءة التأويلية، فأى نص لا يواجه معزولا عن سياقاته المنسجة له، ولا يستقبل معزولا عن سواه في النصوص المماثلة له، والتمايزة عنه. ويرى أحد الباحثين أن القراءة الهيرمنيوطيقية لها ثلاث سياقات:

- 1 - **السياق المقامي:** وتمثل في نزول آي القرآن الكريم.
- 2 - **السياق النصي:** وهو ما كان خاضعا لعملية التركيب، سواء على مستوى الجملة أم على مستوى الخطاب، وبذلك يكون النص الأحق (المؤول) خاضعا لمنقضيات السياق.
- 3 - **السياق الثقافي:** وما فاده أن تأويل النصوص لا يتم إلا بإخضاعها لسياق ثقافي محدد، فتأويل نص عربي مثلا يراعي الخصوصية الثقافية للنص وصاحبه، إنتاجه حتى لا في شرك إسقاط واقع ثقافي غريب على واقعنا، ويميل كثير من المنشغلين بالتأويل إلى استعمال النص وهو يزعمون تأويله، وهي ظاهرة قديمة عرفت الفرق الكلامية الإسلامية، إذ تعتمد هذه الأخيرة إلى تأويل النص القرآني انطلاقا من وجهة نظر المؤول، الذي لا يكون

¹ - م نفسه، ص37..

هدفه وضع يده على المعنى المحتمل للنص بقدر ما يكون هدفه تأييد المذهب الذي ينتمي
فكريا إليه.

الفصل الثاني

التأويل في العهد القديم:

- في الفكر اليوناني:

لا مرأ في أن هذا الضرب من النشاط الفكري التأويلي قد تجلى في أقدم صورة في الفلسفة الإغريقية مع أفلاطون وأرسطو، في نقدهما للفكر السفسطائي وفي سياق الجدل بين الفلسفة والسفسطة.¹

وكذلك نلمسه في بيانات الفكر اليوناني، عند الفيثاغورية وتأويلاتها الرهينة للأساطير والكون عبر رمزية الأعداد والموسيقى، ونجده عند الرواقية في قراءتها لملاحم هوميروس، والشعراء الإغريق وبذلك ارتبط التفسير بالفيلوجيا (علم اللغة).²

ثم إن لفظ الهيرمنيوطيقا، لفظ يوناني (كما سبق ذكره)، مر بعدة مراحل غيرت في دلالة المصطلح فيعد الأولى وردت في مقولات أرسطو المنطقية بتفسير العبارة.

وقد وضعه أرسطو جزءا من أجزاء المنطق (بيري هرمناس) ويعني كما ترجمه قدماء المنطقة قضية العبارة أي كيف يمكن تفسير العبارة، والهيرمنيوطيقا قد سميت في بعض

الكتابات بعلم التأويل والتأويلية الذي يبحث عن تفسير النص وفهمه وقد بان هذا المصطلح أشتق من هرميس في اليونانية وهو الملاك النبي ينقل رسائل الآلهة وتعليمها إلى الأرض،

فقد اعتبر هرميس رسول الآلهة إلى البشر يبلغ حرفيا وينجز كل ما أوكل تبليغه. لهذا فالمصطلح الفلسفي Herméneutique ترجمة أو نقل أو إيضاح حر في إدراك المقصد

الحقيقي للعبارة المنطوقة وعلى المؤول المترجم الذي يريد أن ينقل إلى اللغة (لغة خاصة) وبصورة متجددة ما أريد التعبير عنه (في لغة أخرى) وتعطي معنى التكهن، فهي فن تبليغ

الإرادة الإلهية لكن تبقى دلالة لتأويل ضنيته interprétation مشتقة من الأولى وهو لغة الرجوع، ويرادف التفسير، وقيل هو الظن بالمراد، والتفسير، فاللفظ المحمل إذا لحقه البيان

بدليل ظمي يسمى مؤولا وإذا كان بدليل قطعي يسمى مفسر.

¹- علي شنوفي: الدواعي الأولى للتأويل: الأزمات السلطوية، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، العدد الرابع، جوان 1985.

²- المصدر نفسه.

للتأويل في الفكر اليهودي:

بدأ النشاط التأويلي يترسخ بعد المرحلة اليونانية "خاصة في الثقافة الدينية ابتداءً بالثقافة اليهودية حيث تم أسباط قواعد تأويل التوراة لغويا وعقائديا وشرعيا"¹. ولأن اليهودية عرفت - بوصفها نسقا دينيا - بغياب التجانس، والتعددية المفرطة التي تصل إلى حد التناقض، نظرا لظهورها في مرحلة متقدمة نسبيا من التاريخ، ولأنها استوعبت الكثير من العناصر الدينية والحضارية من الحضارات التي وجدت فيها جعل اليهودية نسبه التركيب الجيولوجي التراكمي المكون من عدة طبقات الواحدة فوق الأخرى. وهذا ما جعل التأويل في الفكر اليهودي بدأ ينقد النص ثم انتقلت المحاولة إلى تفسير النصوص المقدسة ونلمسها في الميراث النص المقدس والتأويلات التي كانت تحاول التوفيق بين التصورات التوراتية، يذكر أحد الباحثين أنه "ظهر بين اليهود الفريسيين اتجاهان فكريان كان لهما أكبر الأثر في علم التفسير اليهودي:

- 1 اتجاه عقلي تأويلي يهتم بمقاصد الشريعة أكثر من الفروع الفقهية.
- 2 اتجاه ظاهري يتمسك بظواهر النصوص وتفرعاتها الفقهية ولا يأخذون بالتأويل في القرون الوسطى حدد العلماء واليهود أربعة مناهج لتفسير التوراة لكل منها مجاله ودلالته، وقد أطلق اليهود على المنهج اسم (الفردوس) وهي تسمية تجمع الحروف الأولى لأربع كلمات وهي:

- 1 شاط: وهو التفسير البسيط أو الحرفي للنص.
- 2 رمز: وهو التفسير المجازي للنص.
- 3 حراش: وهو التفسير الوعظي والأخلاقي للنص.
- 4 سمود: وهو التفسير الصوفي أو الروحي للنص.

وقد غدا هذا لدينا كل هذه القراءات التي تحاول التوفيق واستنتاج قصد المؤلف لهذا وضعت أصولا للتأويل إذ أنهم يرون أن المعنى الحرفي يشبه الجسم والمعنى الفني يشبه

الروح ومع هذا ينبغي أن لا يهمل المعنى الحرفي بل يجب أن تراعي الحروف والروح معا أو الظاهر والخفي.

وهذا الذي فعله (فيلون) الذي يطرح تصور في فهم النص/ التوراة بقوله:

"يكون فهم النص على حقيقة ليس مقدورا للجميع، ما دام طريق هذا مر التأويل الذي ليس مقدورا مسموحا به للناس جميعا"¹.

والتأويل كأسلوب معرفي في فهم النص بطريقة (دينامية) تعكس المعزقة العلمية المتغيرة قد تجاوز المعنى القديم الذي يتحدث عن (صرف المعنى الظاهر للفظ إلى آخر يحتمله) وهذا يمكن أن نجده من خلال عدم وقوف المفسر على حرفية النص ومعانيه المباشرة والبسيطة وإنما بالولوج إلى المعاني الكامنة في ثنايا النص أو آفاهه المحتملة. ولذلك من خلال التأثير بجملة من العوامل الخارجية المتمثلة بثقافة المفسر ومعارفه الإنسانية²

3 التأويل في الفكر المسيحي:

استمر ذلك النشاط التأويلي حول الكتاب المقدس مما جعل جل الباحثين يؤكدون نشأة الدينية للظاهرة التأويلية، ذلك أنها عرفت أوسع تجلياتها في حركة تفسير الإنجيل الهادفة إلى حل المشكلات المتصلة بفهم النص الديني المسيحي والعلاقة بين الشفهي والمكتوب في ذلك النص وبين العهد القديم والعهد الجديد، فضلا عن عملية صياغة العقائد المسيحية.³

إن أكبر دافع من وراء ظهور القراءة التأويلية هو "الإشكال الدلالي الذي طرحته الكتب المقدسة على مستوى التلقي، فتعدد نسخ الكتب المقدسة وتضارب الدلالة والمعنى في هذه النسخ نتج وأسفر عنه نشأة علم الكتاب المقدس "الهيرمنيوطيقا"⁴.

وهذا الظهور لهذا العلم أدى إلى نتائج في غاية الأهمية والخطورة ومن أبرز هذه النتائج: الإقرار والاعتراف بوجود عدة نسخ للكتاب المقدس واختلافها ن حيث الكم والكيف،

¹- قاموس المفاهيم الفلسفية، dictionnaire des notions philosophiques ص1129-1130.

²- قنديل عبد الرزاق، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي- دار التراث- القاهرة- 1948م، ص109.

³

⁴- حامد ناصر الظالمي: اسبينوزا وأثره في منهجية تحقيق النصوص عند المحدثين - مجلة أبحاث البصرة - ع28، ج1، 20001.

وهذا الاختلاف وصل إلى حد التعارض والتناقض بين هذه النسخ، "الشيء الذي أدى إلى غياب الثقة في القراءة النموذجية للنص المقدس بسبب تباعد الدلالة اللغوية للألفاظ التي جاءت معمولة في هذه النسخ في وضعها الأصلي وما أخذت توصي به هذه الألفاظ من معان جديدة ودلالات مستحدثة تبعا لاستعمال والتداول الجديد لها في التخاطب والتداول في اللغة المعاصرة.¹

ومن هنا كان هذا التباعد اللغوي في ألفاظ الكتب المقدسة من حيث دلالة ألفاظها، والذي وصل أحيانا إلى الباب المسدود في الفهم، يحكم قدم المعجم اللغوي لهذه الكتب، فهو معجم مبهم، غير متداول، ولم يعد مستعملا أو متداولاً في التخاطب اللغوي المعاصر فهذا الاعتبار كان من أكبر الدواعي التي ساهمت في نشأة حركة نقد النصوص الدينية. وفي اللاهوت المسيحي استعملت الهيرمنيوطيقا (التأويل) بمعنى: منهج وقواعد تفسي الكتاب المقدس، إلا أن معناه بدأ بالاتساع تدريجيا ليشمل الأدب والفن والنقد الأدبي وفلسفة الجمال.

إن مصطلح الهيرمنيوطيقا مصطلح قديم ظهر في اللاهوت الكنسي بمعنى مجموعة القاعد التي يعتمد عليها المفسر في فهم الكتاب المقدس، وقد استعملت الهيرمنيوطيقا في الدراسات اللاهوتية للدلالة على هذا المعنى منذ سنة 1654هـ ولم يزل مستخدما بنفس المعنى في اللاهوت البروستاني غير أن مفهومه اتسع بالتدريج فشمّل دوائر أخرى تستوعب - بجوار الدراسات اللاهوتية - العلوم الإنسانية والنقد الأدبي وفلسفة الجمال والفلكلورفان. (Anagogique Interprétation) هو تفسير للكتاب المقدس تفسيرا رمزيا للكشف

عن معانيها الخفية لأن الشريعة مجتمعة على ظاهر وباطن كما يذهب بالاعتقاد بعض رجال الدين، ومن خلال التأويل يتم إخراج النص من دلالة الظاهرية إلى دلالاته الباطنية. فالظاهر هو الصور والأمثال، والباطن هو المعاني الخفية التي لا تتكشف إلا لأصل المعرفة والعلم، والتأويل يؤدي إلى رفع التعارض بين ظاهر الأقاويل وباطنها.

¹ - د.رقية جابر الحلواني: أبرز الخلفيات التاريخية لنشأة حركة نقد النصوص الدينية، جامعة الشارقة، 2005، موقع الدكتوراة.

ولقد كان أوغسطين على سبيل المثال يسير في التأويل المجازي بفطنته، إذ يرى وجوب التمييز بن ما يجب أن يأخذ من النصوص حرفياً وبين ما يجب تأويله مجازياً، على أن تكون نتيجة التأويل الاتفاق مع العقيدة، ومبدأ وجوب اتفاق نتيجة التأويل مع العقيدة، تراه صار مبدأ متوارث فهذا توما الأكويني يؤكد في الخلاصة اللاهوتية: أن كل ما عدا المعنى الحرفي لا يعتمد عليه وأنه لا شيء من تلك المعاني الأخرى، إلا هو موجود بوضوح في المعنى الحرفي، لكن هذا ظهر التأويل المجازي في الفكر المسيحي حتى جاء التصور البرتستاني الذي رفض هذا التأويل ووضع شروط أخرى للتأويل.

فالذي نفهمه من هذه المقدمة بالتعريفات إن التأويل بمعناه القديم والوسيط مطلقة خاضع للقراءة ايديولوجية قاعدية يهيمن عليها المعنى الأوحائي المطلق، وعنف القراءة المطلقة في ظل هيمنة المفاهيم المتعالية الميتافيزيقية التي ورثها هؤلاء من اليونان، وأصبحت أداة في أيديهم غابت عنهم التاريخية وأصبحت أمامهم.

في العهد الإسلامي:

إن مسألة التأويل في الإسلام، إشكالية ذات حضور مركزي في تاريخ الفكر العبي الإسلامي، وهي لا تزال حاضرة حتى هذه اللحظة الراهنة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، فالجرجاني هو أحد أئمة البلاغة قال في كتاب التعريفات إن "التأويل في الأصل: الترجيع، وفي الشرع: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة"¹.

ويعطي مثلاً على ذلك فيقول: مثل قوله تعالى: "يخرج الحي من الميت" أراد به: إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل، كان تأويلاً"².

¹- الجرجاني: التعريفات، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2006، مادة التأويل.
²- المصدر نفسه.

فالإسلام الذي يستمد روحه من القرآن هو "الظاهرة المعجزة التي مازال العقل الإسلامي يستعيد لها بوصفه الأصل والنموذج"¹، ولهذا فإن مختلف اتجاهات الفكر الديني على اختلافها، وتعارض منطلقاتها وأهدافها، تتقاطع على مستوى إشكالية تأويل النص الديني، ويضيف باحث آخر: "هذه الرغبة ليست خاصة بالخطاب الديني، بل كذلك ميزة خاصة بالخطاب الفلسفي المتجسد في القراءة النصية"² وهو ما يقضي إلى القول بأن إشكالية تأويل النص الديني، تصنع رهاناتها المستمرة وحدائتها المتجددة في تاريخ الفكر العربي. وإشكالية تأويل النص القرآني هي إشكالية مركبة تشتبك على مستوياتها إشكاليات، فإذا كان تأويل النص القرآني للناقد إلا في ضوء قراءة التراث، أي النصوص الشارحة، فقراءة التراث الديني هي قراءة موضوعها النصوص التي تشكل حول النص القرآني، في محاولة لفهمه وتفسيره، لتشكل نصوصا شارحة للنص الأصلي المتمثل في نص الوحي. وبهذا شكلت نصوص التراث الديني، أي التفاسير القرآنية موضوعا للدرس العلمي (بالمصطلح الذي يوظفه أبو زيد)، ويجري التعامل مع نصوص التراث التفسيري بوصفها نتاج عقل بشري، فالفهم - التأويل هو نتاج الفكر الإنساني، وهذا الأخير يرتبط بعلاقة عميقة بالواقع التاريخي، ومن هذا المنطلق شكلت العلاقة بين الفكر والواقع مشكلة محورية ومركزية.

في العهد الإسلامي:

يذهب بعض الباحثين إلى نفي وجود رؤية تأويلية متكاملة في النص القرآني، ويرون أن لفظ التأويل قد ورد فيه ظلال سياقات متفرقة لا جامع بينها وأنه لا يتعلق بمواضيع محددة وإنما هو مجرد إشارة إلى أسلوب في النظر يرتبط بمجالات بعينها، يقول أحد الباسطين في ذلك: "فإننا إذا استعرضنا الآيات القرآنية الكريمة التي وردت بها لفظ التأويل كما بينا، فإننا نجد أنه ليس للتأويل موضوع محدد، وإنما هو يتناول مسائل متفرقة إما تتعلق

¹ - علي حرب: أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر (مقاربات نقدية وسجالية) دار الطليعة، بيروت، ط1، 1994، ص56.

² - حيرش بغداد: نصر حامد أبو زيد، المشروع التنويري المهضوم، كتابات معاصرة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، مجلد 17، ع68، 2008، ص19.

بتفسير الرؤى أو تتعلق بالأخبار عن نجيب في الدنيا أو تتعلق بحسم الغلاف بين المسلمين وأولي الأمر وتعلق بالإحسان في البيع بإيفاء الكيل والعدل في الميزان وتعلق بموقف كل من أهل الزيغ والراسخين في العلم حتى المحكم والمتشابه من الآيات أو تتعلق بعقابة الكافرين وحسرتهم يوم القيامة أو تتعلق بمسارعة الكفار بالتكذيب قبل التريث والتريث مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم... فإننا إذا ذهبنا نلتمس لعلم التأويل منها محددًا فإننا لا نجد له منها على الإطلاق".¹

غير أن الله الذي قال: "كتاب فصلت آياته... "وإنه لكتاب مبين... " ما فرطنا في الكتاب من شيء... " ما كان ليذكر مسألة هي بالأهمية بمكان ذكرًا عشوائيًا - حاشاه عز وجل - من غير أن يحكمها ويطببها، وإن المتمعن في مجمل السياقات التي ورد فيها لفظ التأويل في النص القرآني أن يرصد فيها ثلاث بؤر دلالية يكمل بعضها في تناسق وانسجام. فالأولى تتعلق بمجال السلوك الفردي والجماعي ومجال المعاملات وتمثلها الآية التاسعة والخمسون من سورة النساء: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله ورسوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلًا"² وكذلك الآية الخامسة والثلاثون من سورة الإسراء: "وأوفوا الكيل إن أكلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلًا"³.

فالتأويل في الآية الأولى مرتبط بالفصل في النزاعات وفي الآية الثانية بالمعاملات التجارية مما يضي عليه دلالة تشريعية لها صلة بالأحكام، فهذا صنف أول من التأويل يمكن وسمه بالتأويل الشرعي.

وتتعلق البؤرة الدلالية الثانية بمجال الاعتقاد ويمثلها عدد من الآيات من آية الثانية والخمسون والثانية والخمسون من الأعراف: "هل ينظرون إلى تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسلنا بالحق".

¹ - محمود محمد ربيع: أسرار التأويل، ص 25-32.

² - سورة النساء: الآية 59.

³ - سورة الإسراء: الآية 35.

والتاسعة والثلاثون من سورة يونس: "كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله"، لكن الآية التي يميزها بامتياز هي الآية السابعة من سورة آل عمران: " وهو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم" وقد أكد العلماء من مفسرين ودارسين لمشابه القرآن ومصنفين لعلوم القرآن أن المقصود بالآيات المتشابهات تلك التي يحدث ظاهرها التباسا في الاعتقاد بتعين رفعه باعتماد التأويل¹، وهذا النوع من التأويل وسم كذلك بالتأويل الكلامي.

أما البؤرة الدلالية الثالثة، فلا صلة لها بالتأويل اللفظي للخطاب القرآني إنما تتصل بتأويل مظاهر الوجود وتمثلها جملة من الآيات من بينها الآية الثانية والثمانون من سورة الكهف: "ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا" وقد وردت في سياق قصة موسى والولي وتعلقت دلالتها بالمعنى الباطن للحوادث لا بمعنى اللفظ ودلالته ومنها الآيات السادسة: "وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث" والسادسة والثلاثون: "تبئن بتأويله إنا نراك من المحسنين"، والسابعة والثلاثون: "أنا أنبئكما بتأويله فارسلون" والتاسعة والأربعون: "يا أبت هذا تأويل رأيي من قبل" والحادية بعد المائة: "رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث" من سورة يونس، وقد تكرر فيها لفظ التأويل ثماني مرات مضافا تارة إلى الأحلام والرؤى وطور إلى استشراف الغيب، تلك هي المجالات التي يتناولها التأويل في السياقات القرآنية وهي مجالات شرعية أو مجالات عقديّة أو مجالات كونية عرفانية لها صلة بالوجود وبما وراء الوجود ولا يخفى ما بين هذه المجالات عن تكامل وتماسك إذ تكون في مجموعها وحدة تمثل جوهر الرسالة ومحتواها.

¹ ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن - دار القاهرة - ط2 - 1973، والشريف الرضي حقائق التأويل في متشابه التنزيل، دار المهاجر، بيروت، لبنان، والفاضي عبد الجبار، متشابه عبد الجبار: متشابه القرآن - دار التراث - القاهرة 1969.

الفصل الثالث

مفهوم النص عند نصر حامد أبو زيد:

إن مفهوم النص لدى نصر حامد أبو زيد يتنافى تماما مع المفهوم التقليدي له، وذلك لأن النص في المفهوم الكلاسيكي التقليدي، فهو ما عند علماء الدين المسلمين، ينظر إليه على أنه كل ما يشير إلى القرآن والحديث، حيث يستجدون مصطلحات متنوعة مرادفة لكلمة النص، مثل الكتاب والتنزيل والقرآن غيرها، وذلك الإشارة إلى النص القرآني، ويستخدمون مصطلح الحديث والسنة الإشارة إلى نص الحديث، أما مصطلح التنزيل فهو الإشارة إليها معا.

لكن ما يهمنا هنا ليس المصطلحات التي تستخدم للتعبير عن النص الديني، وإنما الدلالة التي كانت تحملها هذه المصطلحات، التي تدور حول ذلك البناء اللغوي الذي لا يحتمل تعدد المعاني، فمفهوم النص في التراث يقوم على أن الخطاب الديني يرفع في وجه العقل والاجتهاد مبدأ "الاجتهاد فيما فيه نص" لأنه لا يعني بالنص ما يعنيه بالتراث، وهو الواضح الجلي، فإذا أضفنا إلى ذلك أن تحديد ما هو نص، والتفرقة بينه وبين ما ليس كذلك، أمر خاضع للخلاف والاجتهاد في تاريخ الثقافة الإسلامية... إن القرآن برأي "نصر حامد أبو زيد" نص ديني ثابت من حيث منطوقه، لكنه من حيث ما تعرض له العقل الإنساني يصبح "مفهوما" يفقد صفة الثبات، إنه يتحرك وتتمدد دلالاته¹.

ذلك لأن نصر حامد أبو زيد يعتقد أن النص القرآني نص لغوي وبالتالي فمدخل مقارنته لغويا بامتياز، من خلال معطيات الثقافة العربية، ونظامها اللغوي الذي تبنى عليه، وتتأسس به.

يقول نصر حامد أبو زيد في هذا الباب: "إن الله سبحانه وتعالى حين أوحى للرسول الكريم بالقرآن اختار النظام اللغوي الخاص بالمستقبل الأول... ذلك أن اللغة أهم أدوات

¹ - نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني - المركز الثقافي العربي - ط3 - الدار البيضاء، المغرب، 2007، ص125.

الجمع في إدراك العالم وتنظيمه، وعلى ذلك لا يمكن أن نتحدث عن لغة مفارقة للثقافة والواقع طالما أنه نص داخل الإطار اللغوي للثقافة".¹

إن جوهر العملية التأويلية عند نصر حامد أبو زيد قائم على معضلة تفسير النص بشكل عام سواء إذا كان هذا النص تاريخياً أم دينياً أم أدبياً أم غير ذلك ويترتب على ذلك أسئلة كثيرة معقدة ومتشابكة تتعلق بطبيعة النص أولاً وعلاقته بالتراث الفكري، والمذهب الشخصي الذي يتبناه صاحبه.

ولأن الحضارة الإسلامية - حسبه - حضارة نص بمعنى أن مجموع تراثها الفكري ارتبط أساساً بالنص القرآني المبارك، فقد حاول أبو زيد من خلال أعماله نقد مساءلة جدلية يستهدف بها الباحثين والدارسين عن العلاقة القائمة بين هذا النص الكريم، والواقع الإنساني دائم التجدد والتغير.

من وجهة نظر الدكتور نصر حامد أبو زيد إن جوهر النص القرآني وحقيقة لا يتعدى كونه منتجاً ثقافياً، باعتباره لغة يحال عليها أن تكون مفارقة للثقافة والواقع، وقد تشكل في ظرف يزيد على عشرين عاماً، ومع ذلك فإن نصر حامد أبو زيد لا ينكر إلهية مصدر النص القرآني، ويرى أن هذه الإلهية لا تنفي واقعية محتواه، ومن ثم لا تنفي انتماءه إلى ثقافة البشر، كما أن النص في هذه الحالة لا يعكس الثقافة والواقع عكساً آلياً، بل أنه يعيد بناء معطياتهما في نسق صديد. الأمر الذي يعني وجود علاقة جدلية بين النص والواقع أو الثقافة.

على ذلك اعتبر أبو زيد أن اختيار منهج التحليل اللغوي في فهم النص هو الوحيد الذي يلاءم موضوع البحث ومادته، فإذا كان النص حاملاً للثقافة التي ظهر فيها دون أن يكون هناك ما يفرق الواقع، فلا بد حينئذ من أن يكون التحليل اللغوي هو الوحيد الذي يلبي - فعلاً - حاجة الفهم الخاصة بالنص، وهنا يصبح الأخير كاشفاً عن واقع الثقافة التي ظهر فيها، كما يكون هذا الواقع مساعداً على فهم النص.

¹ - المرجع نفسه، ص 52-53.

والبحث عن مفهوم "النص" ليس في حقيقته إلا بحثاً من ماهية "القرآن" وطبيعته بوصفه نصاً لغوياً، وهو بحث يتناول القرآن من حيث هو "كتاب العربية الأكبر، وأثره الأدبي الخالد" فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس ويضعنا هذا البحث أمام إشكاليات جوهرية يبرزها فعل القراءة.

يقول أبو زيد: "إن الله سبحانه وتعالى حين أوصى الرسول بالقرآن اختار النظام اللغوي الخاص بالمستقبل الأول، وليس اللغة لوعاء فارغ وإن كان هذا ما يؤكد الخطاب الديني المعاصر، ذلك أن اللغة أهم أدوات الجماعة في إدراك العالم وتنظيمه، وعلى ذلك لا يمكن أن نتحدث عن لغة مفارقة للثقافة والواقع، ولا يمكن من ثم أن نتحدث عن نص مفارقة للثقافة والواقع طالما أنه داخل إطار النظام اللغوي للثقافة إن الهوية مصدر النص لا تنفي واقعية محتواه ولا تنفي من ثم انتماءه إلى ثقافة البشر "وإن النص كله لا يدل إلا من خلال النظام اللغوي الخاص بالمخاطبين"¹.

بالتالي فإن هدف دراسة الدكتور أبو زيد يمكن فهمه من خلال هذا السياق ومن خلال سعيه الدؤوب للتأكيد عن أن أية قراءة للنص إنما يجب أن تصدر من مسلمة أساسية (كان شاغل أبو زيد التأكيد والبرهنة عليها) تتمثل في أن النص طالما هو نص لغوي (أبو زيد هنا يستلهم التعريف الألسني لمفهوم النص باعتباره علامة لغوية).

وطالما أن اللغة لا يمكن أن تكون مفارقة لثقافة الجماعة المستخدمة، فالتالي يترتب على هذه المقدمة نتيجة قرر بموجبها أبو زيد أن النص ليس هو الآخر بمفارقة للثقافة والواقع.

وبالنظر إلى ما سبق نجد أن ما سعي إليه نصر حامد أبو زيد هو الأمر عينه الذي أكدت عليه الهيرمنيوطيقا في تعاملها وتعاطيها مع كافة النصوص اللغوية، بوصفها فإن فهم وقراءة النصوص حيث تساوى من منظورها كل النصوص باعتبارها نصوص تاريخية، وهو ما ينزع عن بعضها (الدينية تحديداً) صفة القداسة والتعالى على التاريخ.

¹ - نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، 1991، ص19.

ثم إننا عند قراءة "لفهم النص" نجد أن نصر حامد أبو زيد يطرح معضلة النص بالشكل التالي: كيف نتعامل مع النص؟ كيف يمكن الوصول إلى المعنى الموضوعي للنص القرآني؟ وهل في طاقة البشر بمجردتيهم ونقصهم الوصول إلى القصد الإلهي في كماله وإطلاقه؟ إن مثل هذه الأطروحات لا يمكن لأي معرفة معالجتها سوى القراءة النقدية وبالتالي تأويله وحدها بإمكاننا معالجة المعضلة باعتبارها تقف بصورة جدية عند عناصر البنية المشكل منها فعل القراءة التي تطرح صعوبات حول (المؤلف/النص/الناقد) أو (القصد/النقد/التفسير)¹.

وواضح أن مثل هذه التساؤلات - وخاصة التساؤل عن كيفية الفهم - يرتد بنا إلى حقول معرفية حديثة من بينها اللسانيات والسيمولوجيا والتحصيل النفسي وعلى وجه الخصوص الهيرمنيوطيقا بوصفها الحقل المعرفي المعني بفن تأويل وفهم النصوص على ذلك فإن التساؤل عن الكيفية التي نفهم بها النصوص يرمي بنا في الفضاء لا محدود للتأويل وآليته.

إن الهاجس المؤرق لنصر حامد أبو زيد هو كيفية الإسهام في بلورة وتأسيس معرفة عقلية بالنص (القرآني المقدس) إن الملاحظة كما يقول أبو زيد: "أن ما يجمعنا نحن المسلمون موجود في النص، وينبغي التسليم بذلك، لكن الوصول إليه وبلوغه لن يكون إلا من خلال القراءة التأويلية، باعتبار التأويل العملية الأمثل للتعبير عن عمليات ذهنية على درجة عالية من العمق في مواجهة النصوص والظواهر"².

ولقد حرص نصر حامد أبو زيد على التمييز بين مصدر النص وطبيعة النص، فأن يكون القرآن الكريم وحيا إلهيا فإن ذلك لا ينفي عنه أنه نص بشري بالنظر إلى أن الوصي قد تأنس عندما تجسد في اللغة والتاريخ، مما جعل "القرآن الكريم" محكوما بجذلية الثبات

¹ - نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، ط4، 1996، ص19.

² - المرجع نفسه، ص192.

والتغير، فالنصوص ثابتة في المنطوق متحركة متغيرة في الدلالات، فالقول بالوهية مصدر النص لا ينفي واقعية محتواه، ولا ينفي انتمائه إلى البشر.

لقد انطلق نصر حامد أبو زيد في فهمه لماهية "النص من مقدمته، وعلاقته الجدلية مع الواقع مؤداها أن النص الواقع الذي نشأ فيه، ذلك أن اللغة لا تكون مفارقة لثقافة الجماعة المستخدمة لها، وبناء على ذلك ذهب إلى أن النظر في النص القرآني يقتضي الإمام بنظام اللغة العربية ومنظومة القيم والأعراف والتقاليد الجاهلية.

فكل النصوص لا تعدو أن تكون امتدادا للظاهرة الثقافية الخاصة بكل منظومة لبنيتها أو ثقافته، ومن شأن اللغة المجازية التي شكلت منها تلك النصوص أن تجعل العالم متحركا غير ثابت (التأويل) فأصالة النصوص تقاس بقدرتها على احتواء الرؤى المختلفة مما يعطي حياة للنص.

فالمشكلة الرئيسية عنده تتمثل في كيفية تفاعل الإنسان مع النص، ذلك أنها لا تحمل دلالة نهائية، وهو ما يجعل البحث في أجدلية المعنى أضغاث أحلام لا قيمة له معرفيا من منطلق أن النص الذي ينص على الحقيقة ينتهي بانتهائها وبهذا المعنى فإن النص بما له من وجود (المنطوق، المكتوب) ينطوي على مجموعة من التعبيرات المجازية الرمزية، فتجعل من القارئ (المفسر) منتجا للنص أي المعنى وفق ثقافته ورؤاه ومواقعه، وهو ما يعني أن كل قراءة تظل قراءة ممكنة من بين قراءات أخرى.

لقد عمل نصر حامد مع جميع مؤلفاته على تخليص الفكر الديني من سلطة الأوصياء تبين الطابع الإيديولوجي الذي يسيطر -وما يزال - على الفكر الديني، ذلك أن "كل الخلافات الاجتماعية (الاقتصادية، السياسية، الفكرية) بين الجماعات المختلفة في تاريخ الدولة الإسلامية كان يتم التغيير عنها من خلال اللغة الدينية في تشكيلها الإيديولوجي".

إن المنهج الجديد في قراءة النصوص الدينية لدى نصر حامد أبو زيد، يؤكد على ضرورة مراعاة متطلبات الواقع في تأويل النصوص الدينية "فمن طريق فقه النص والواقع تتم

الموائمة بين الحكم الشرعي وبين الحادثة أو الواقعة المعروضة بعناصر وملاستها وظروفها"¹.

وهذا ما يؤكد أبو زيد في قوله: "إن إشكاليات القراءة لا تقف عند حدود اكتشاف الدلالات في سياقها التاريخي الثقافي، الفكري، بل تتعدى ذلك إلى محاولة الوصول إلى المغزى "المعاصر للنص التراثي"².

ذلك أن قراءة النصوص، وبالتحديد قراءة النص الديني، لا تنطلق من فراغ: بل هي قراءة تنطلق من أسئلة أو إشكاليات ترتبط بدورها بالواقع المعاش، هنا تتحد طبيعة منهجيته قراءة النص التي تحاول أن تؤول النص نستخرج منه ما يساعدنا في فهم الواقع، هذه هي القراءة المنتجة التي تنطلق من الحاضر إلى الماضي، فترتد مجددا الحاضر في حركة مستمرة.

تأويل النص عند نصر حامد أبو زيد وتاريخيته:

يرى الأستاذ نصر حامد أبو زيد أن جوهر الإشكال المعرفي المرتبط بمسألة التأويل في الفكر العربي الإسلامي المعاصر إنما يعزى إلى التفسير الذي يتمسك أصحاب المدرسة النصية في الثقافة الإسلامية بقداسة النص، وعدم أي رأي عقلي من شأنه البحث عن طرائق تأخذ بالحسبان معطيات الزمان والمكان سواء أكان النص تاريخيا، أو أدبيا أم مجرد عرف أو تقليد درج عليه الناس.

وفي هذا السياق يقول الأستاذ: "إن قضيته الأساسية التي تناولها الهيرمنيوطيقا بالدرس في معضلة تفسير النص بشكل عام، سواء كان النص نصا تاريخيا، أم نصا دينيا"³. ولكي نميز بين مصطلحي التأويل والتفسير لابد من الفصل بين مفهومها النظري والتطبيقي لأنهما يمتزجان بطريقة أو بأخرى، "ويتعدى هذا التمييز ذلك للبحث في طبيعة النصوص المراد تأويلها، ستحدد المعالم الافتراضية التي يشتغل عليها كل مصطلح ففي

¹ - محمد محفوظ: الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت 1999، ص66.

² - نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص125.

³ - نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص13.

حين ظل لتفسير مقيدا بالنصوص الدينية المقدسة، اتسعت دائرة اشتغال التأويل لتتطرق مجالات عديدة، وأبوابا جديدة تشمل كل ما هو رمزي وإنساني عموماً¹.

فيعتبر نصر حامد أبو زيد أن التأويل هو نفسه التفسير، وأن أولئك الذين يقومون بتفسيره إنما يؤولونه مع أنهم يفرقون بين التفسير والتأويل، وهذه التفرقة في نظره "تجلي من شأن التفسير، وتقضي من قيمة التأويل على أساس من موضوعية الأول وذاتية الثاني، الموضوعية في الحالة الأولى موضوعية تاريخية نفترض إمكانية أن يتجاوز المفسر إطار واقعه التاريخي وهموم عصره، وأن يتبنى موقف المعاصرين للنص، ويفهم النص كما فهموه في إطار معطيات اللغة التاريخية عصر نزوله"².

فالتفسير من هذا المنظور لا يعني شيئاً إلا التأويل عند المفسرين القدامى وإذ كانوا يفرقون بينهما، يقول الباحث: "ولا يبالغ الباحث إذا نهى إلى أن التفسير الصحابة أنفسهم - خاصة ابن عباس الذي نظر إليه على أنه ترجمان القرآن - لا يتجاوز إطار التأويل"³. ويؤكد نصر حامد أبو زيد ما يذهب إليه من تسوية بين التفسير والتأويل بأن "التفرقة بين التفسير والتأويل فرقة اصطلاحية متأخرة، فالطبري - مثلاً - يسمي تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وابن عباس يرى أنه يعلم تأويل القرآن"⁴ ودلالته هذا الاستدلال هي إثبات من أبي زيد أنه لا فرق بين التفسير والتأويل، وأن القدامى إنما كانوا يؤولون.

لقد ميز القدامى التفسير من التأويل حسب وظيفة كل منهما، قال الزركشي: "وقال أبو القاسم بن حبيب النيسابوري والبعوي والكواشي وغيرهم: "التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط"⁵، وهذا القول يدل على أن العلماء القدامى أكثرهم على أن التفسير ليس تأويل، لأن في التأويل صرفاً للرتبة، عن طريق الاستنباط، وقال الزركشي أيضاً: "قيل التفسير والتأويل واحد بحسب

¹ نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص، الهيئة المصرية للكتاب، 1990، ص12.

² نصر حامد أبو زيد: فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محمد الدين بن عربي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ص5.

³ المصدر نفسه، ص12.

⁴ المصدر نفسه، ص13.

⁵ الزركشي البرهان في علوم القرآن، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، ط3، 190، ج2، ص150.

عرف الاستعمال، والصحيح تعابيرهما¹ وبين حدود التفسير والتأويل عندهم: وقيل التأويل كشف ما انغلق من المعنى، ولهذا قال البجلي: التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية...

قال أبو الفشيرى: ويعتبر في التفسير الإلتباع والسماع، وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل² ولعل هذه التحديدات ما بين الفرق بينهما عند القدامى من أهل العلم، فالتفسير يتعلق بالظاهر وأما التأويل فيما هو خفي، وذلك قال الأمدي: أما التأويل من حيث هو تأويل مع قطع النظر عن الصحة والبطلان: هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له، وأما التأويل المقبول الصحيح فهو: "حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتمال له بدليل يعضده"³، وإذا كان التأويل هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى محتمل، فإن "هذا الصرف لا يقوم على القطع بل يسير في مساحة الظن"⁴. غير أن الأستاذ أبو زيد يدعو إلى إعادة النظر في مفهومي التأويل والتفسير في الخطاب الثقافي العربي والإسلامي داعياً إلى توحيدها قائلاً: "من الأفكار الشائعة المستقرة التي لا يمكنك أن نعيد طرحها فكرة التفرقة بين التفسير والتأويل، وهي تفرقة تعلي من شأن التفسير، وتغض عن التأويل، على أساس يقتضي موضوعية الأول، وذاتية الثاني، ولعل في ذلك كله ما يسمح لنا بتجاوز التفرقة الاصطلاحية... ونعود إلى الأصل وهو التوحيد بينهما"⁵.

وقد بدأ التأويل مصطلحاً مقبولاً في ثقافتنا العربية أول الأمر، ثم درج العلماء وبعض المتصوفة المسلمون منذ القرن الرابع هجري تقريباً، أي العاشر ميلادي، باستثناء الشيعة، وبعض المتصوفة، على تفضيل مصطلح التفسير على مصطلح التأويل، فصار شائعاً أن

¹ - المصدر نفسه، 2، ص149.

² - المصدر نفسه، ج2، ص150.

³ - الأمدي: الأحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، ص59.

⁴ - محمد أديب صالح: تفسير النصوص في الفقه الإسلامي - المكتب الإسلامي - بيروت، ط3، 1948، ج1، ص336.

⁵ - نصر حامد أبو زيد: إشكالية تأويل القرآن قديماً وحديثاً، بحث ألقاه في محاضرة في دمشق 2003، ونشر ضمن كتابه: التجديد والتأويل والتحرير بين المعرفة العلمية والخوف من التفكير، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2010.

التأويل جنوح عن المقاصد والدلالات الموضوعية في القرآن، ودخول في إثبات عقائد وأفكار¹.

غير أن التأويل تعرض مبكرا إلى معضلة على مستوى النظري في التعامل مع التراث الديني، فعلاقة المفسر مع النص أخذت اتجاهين يمثل كل منهما زاوية مختلفة في النظر إلى علاقة المفسر بالنص:

- **الاتجاه الأول التفسير بالمأثور:** ويهدف إلى الوصول إلى معنى لنص عن طريق تجميع الأدلة التاريخية واللغوية، التي تساعد على فهم النص فهما موضوعيا، وهذا الاتجاه التاريخي الموضوعي يتجاهل المفسر، ويلغي وجوده لحساب النص وحقائقه التاريخية.
- **الاتجاه الثاني التفسير بالرأي:** أو ما يسمى بالتأويل، وقد نظر إليه على أساس أنه تفسير غير موضوعي، لأن المفسر يبدأ عن موقفه الراهن، محاولا أن يجد فيه سندا لموقفه، ويؤكد حضور المفسر عقلا وشخصيا في التعامل مع النص.

وقد تباين الموقف التاريخي من كلا الاتجاهين بين وصف الأول بأنه اتجاه أهل السنة والسنن الصالح ويمثل الاتجاه الرسمي الأكثر انتشارا واستحوادا على الخطاب الديني وتشكيلا للعقل المسلم، والثاني يوصف بأنه اتجاه الفلاسفة والمعتزلة، والشعبة المقصوفة، وقد تعرض هذا الأخير دوما للاثهام والازدراء على يد أصحاب الاتجاه الأول، "وإن كان هذا التقسيم من منظور الأستاذ نصر حامد أبو زيد يؤكد واقع الدراسات لا يحظى بتمايز تطبيقي على غرار تمايزه النظري، فلم تخل كتب المفسرين القدماء من بعض الاجتهادات التأويلية المتمثلة في "استنباط دلالة التراكيب، بما تتضمنه من حذف وإضمار، وتقديم وتأخير، وكناية، واستعارة، ومجاز" ولم نتجاهل كتب التفسير بالرأي أو التأويل للحقائق التاريخية واللغوية المتصلة بالنص².

¹ - المصدر نفسه، ص56.

² - عيد الباسط سلامة هيكل: الجذور التراثية لتأويلية نصر أبو زيد، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2015.

وقد انحازت تأويلية نصر حامد أبو زيد إلى أصحاب الاتجاه الثاني، مشيراً إلى المعضلة الحقيقية في التفسير القرآني، التي تجاهلها دعاة الاتجاه الأول، أنه لا يمكن الوصول إلى المعنى الموضوعي للنص القرآني، فليس في مقدور البشر الوصول إلى القصد الإلهي في كماله وأخلاقه¹.

وينطلق الأستاذ نصر حامد أبو زيد دائماً من موقف التساؤل، والمراجعة، وتحسين القراءة قصد الوصول إلى قراءة إنتاجية، تبعد العقل عن التقليد والعجز في الرؤية، والتجزؤ في النظرية وهذا يقول نصر حامد أبو زيد: "موقف التساؤل المستمر والمراجعة الدائمة، قادر دائماً على تصحيح الأخطاء، والتقدم نحو مزيد من الاجتهاد، هكذا تصبح القراءة فعلاً مستمراً لا يتوقف يبدأ من الحاضر والراهن، وينطلق إلى الماضي والتراث، ثم يرتد إلى الحاضر مرة أخرى، في حركة لا تهدأ، ولا يقر لها قرار، لكنها الحركة التي تؤكد الحياة، وتتفي سكرات الموت، إنها حركة الوجود والمعرفة في الوقت نفسه"².

وموقف التساؤل المستمر له صدى عند عبد القاهر الجرجاني، إذ أنه يبدأ صرح قضيته ومناقشة فكرته، بطرح سؤال ينطلق منه... ففي قضية إعجاز القرآن التي كانت تمثل شغله الشاغل، كان لا يقنع بآراء السابقين في القول بالإعجاز دون ذكر الحجة، وبيان العلة، فكان يتناول القضية من خلال سؤال ينطلق منه مفاده: ما الذي يميز كلاماً من كلام؟ وما الصفة الباهرة التي بهتت العرب في النص القرآني، فأحسوا بالعجز إزاءه، على الرغم من فصاحتهم وقدرتهم البيانية فيقول الجرجاني: "هل سمع قط بذي عقل ومسكته استطاع أن يخرس خصماً له قد اشتط في دعواه بكلمة يجيبه بها، فترك ذلك إلى أمور يسفه فيها، ونسب معها إلى ضيق الذرع والعجز؟ هل عرف في مجرى العادات، وفي دواعي النفوس، ومبنى الطبائع، أن يدع الرجل ذو اللب حجته على خصمه، فلا يذكرها، ولا يفصح بها"³.

¹ - نصر حامد أبو زيد: بحث إشكالية تأويل القرآن قديماً وحديثاً، ص 3

² - المصدر نفسه، ص 5-6.

³ - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط 3، 1992، ج 1، ص 580-581.

ويذم نصر حامد أبو زيد منطلق (الاتعليل)، فهو لا يكتفي بالأقوال المرسلة، ويحرص على التفصيل في معرفة الخصائص، فالاختزال من آفات الخطاب الديني، وإحدى إشكاليات تحليل النصوص التراثية، فيقول: "فاختزل الفكرة في كلمة يحول المعرفة إلى كبسولات تغني عن الدخول في التفاصيل استمرارا لعصر التلخيصات، التي كانت إذانا بأفول عصر التقدم والازدهار في تاريخ المسلمين"¹.

ويذكرنا رأي الأستاذ نصر حامد أبو زيد بعبارة للشيخ محمد الغزالي في نقد الحالة الثقافية لعصور التخلف بقوله: "أصبح علم الأصول نفسه ذلك المنهج العظيم على يد المتأخرين علما مصحكا، لأنه أصبح كالأتي: الخلاصة، التلخيص، الملخص، المتن، الشرح، الحاشية... كأننا نطحن الماء فلا يزيد ولا ينقص"².

غير أن الغزالي اقتصر في نقد الظاهرة على المتأخرين ولم يبحث في علتها، أما نصر حامد أبو زيد فقد ناقش نتاج مدرسة الأصوليين، وخطر التسليم لنتاج إمامها على جمود العقل المسلم، متجاوزا التوصيف الإنساني الذمي للظاهرة إلى تفصيل أسبابها وطرق إصلاحها"³. يؤمن نصر حامد أبو زيد بتعدد المستويات الدلالية للنص، المعنى الظاهر في النص، والمغزى الكامن فيه، لذا حث نصر القارئ على قاعدتين في قراءة التراث: الأولى: اكتشاف دلالات النص التراثي في سياقها التاريخي الثقافي الفكري والثانية: محاولة الوصول إلى المغزى فاكتشف الدلالة، والوصول إلى المغزى، إحدى إشكاليات القراءة، التي تحول تأويلية نصر التغلب عليها"⁴.

ونجد المعنى نفسه عند عبد القاهر الجرجاني في حدود الثقافة السائدة آنذاك حيث نميز في النص بين المعنى وهو ظاهر النص من محصلة علاقة السياقية، ومعنى المعنى، وهو باطن النص فقول عبد القاهر الجرجاني: "فالمعاني الأولى المفهومة من نفس الألفاظ هي

¹ نصر حامد أبو زيد: بالتفكير في زمن التفكير ضد الجهل والزيغ والخرافة، مكتبة مديولي، القاهرة، ط2، 1995، ص85-86.

² محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن، دار النهضة، مصر، ط13، 2012، ص36.

³ نصر حامد أبو زيد: الإمام الشافعي، وتأسيس الإيديولوجية الوسيطة، مكتبة مديولي، القاهرة، 1996.

⁴ نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص6-7.

المعارض، والوشي والحلي، وأشبه ذلك، والمعاني الثواني، التي يوما إليها تبلك المعاني هي التي تكس تلك المعارض، وتزيد بذلك الوشي والحلي، وذلك إذا جعلوا المعنى يتصور من أجل اللفظ بصورة، ويبدو في هيئة، ويتشكل بشكل يرجع المعنى في ذلك كله إلى الدلالات المعنوية ولا يصلح شيء منه، حيث الكلام على ظاهره، وحيث لا يكون كناية وتمثيل به من مجرد اللفظ، فلو أن قائلاً قال: "رأيت الأسد، وقال الآخر: "لقيت الليث" لم يجز أن يقال في الثاني: إنه صور المعنى في غير صورته الأولى، ولا أن يقال أبرزه في معرض سوى معرضه، ولا شيء من هذا الجنس، وجملة الأمر أن صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معان آخر"¹.

ويسعى نصر حامد أبو زيد إلى تحرير قراءة التراث من أي سلطة مسبقة للنص على القارئ، فمبدأ تحكم النص، أو بعبارة أصح تحكم فهم خاص لفئة معينة للنص، سيجن العقل ويسلب الإنسان أبرز خصائصه التي ألح عليها القرآن في قوله تعالى: "لعلهم يتذكرون"، فينهى الخطاب على حسب رأي أبي زيد في دعوته للتسليم المطلق إلى التعارض مع الإسلام في أهم أساسياته، وهي الدعوة إلى الفكر وإعمال العقل.

وهذا ما دفع نصر حامد أبو زيد إلى إعادة اكتشاف دلالة مصطلح النص في دراسته (مفهوم النص)، موضحاً أن بعض المرردين شعار (لا اجتهاد فيما فيه نص) يقومون بعملية خداع إيديولوجية، لأن النص الذي لا اجتهاد معه هو النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة، وهذا ما لا نتحدث عنه، بل نتحدث عن نصوص غير قطعية الدلالة، وهي أكثر النصوص مما يحمل التأويل والاجتهاد وقد قدم بعضهم فهمهم لها على أنه هو النص، فتلاشت المسافة بينه وبين النص، ولا تختلف نصر في مناقشة مقولة (لا اجتهاد مع النص)، عن طرح

¹ - دلائل الإعجاز، ج، ص205.

الدكتور محمد أبو زيد وشرحه لها في كتابه (تاريخ المذاهب) موضحاً أثر تلك الحالة من الخلل في تأجيل الخطاب المتطرف لجماعات الخوارج¹.

ويتبع تحرير قراءة التراث من أي سلطة مسبقة للنص على القارئ، إسقاط القداسة عن أي طرح بشري ليس له عصمة تمنع عنه النقد، والنظر والمراجعة والتقييم، فتعامل نصر حامد أبو زيد مع قراءة التراث ينطلق مع إعمال العقل والارتكاز على الفهم والاستنباط، فيسيطر على خطابه اتجاه نقدي لا يرى للتراث قداسة بوصفه فكراً بشرياً حول الدين، لذلك يدرس التاريخ دراسة نقدية وهذا ما فعله من قبل ابن خلدون ويدرس تاريخ الفرق الإسلامية، والاتجاهات الفقهية، والكلامية والفلسفية من المنظور النقدي وهذا ما تناوله نصر بشيء من التفصيل في كتابه (نقد الخطاب الديني)، حول ضرورة الفصل والتمييز بين الدين والفكر الديني، الذي لا يكتسب من الدين قداسته، ولا إطلاقه، يقول أبو زيد "فمنذ اللحظات الأولى في التاريخ الإسلامي، وخلال فترة الوحي، وتشكل النصوص، كان ثمة مجالات أخرى تخضع للفعالية العقل البشرية والخبرة الإنسانية، ولا تتعلق بها فعالية النصوص، وكان المسلمون الأوائل كثيراً ما يتساءلون إزاء موقف بعينه إذا كان، تصرف النبي صلى الله عليه وسلم محكوماً بالوحي، أو محكوماً بالخبرة والعقل، وكثيراً ما كانوا يختلفون معه، ويقترحون تصرف آخر إذا كان المجال من مجالات العقل والخبرة"².

¹ - تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996، ص 65-70.

² - نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، الفصل الأول: الخطاب الديني المعاصر آلياته ومنطلقاته الفكرية، دار سيناء، القاهرة، ط 1، ص 88.

الخاتمة

الخاتمة:

استنتاجات نقدية:

بعد دراستنا للأبحاث السابقة للنص والتأويل تبين لنا ما يلي:

- 1 تأويل موضوع شائك فهو يدور بين الموضوعية أحيانا والذاتية أحيانا أخرى.
- 2 الأبحاث حول التأويلية كثيرة ألقت بظلالها على البحث العلمي فمنهم نصر حامد أبو زيد الذي أثار بدوره جدلا واسعا.
- 3 العقل هو المحرك الأساس في العملية التأويلية، وهذا المشروع -كما يبدو لي- تعود دراسته إلى زمن ابن رشد وربما على زمن المعتزلة.
- 4 لتأويل علاقة بين المعنى والمغزى، النص والمقصد، فالأمور بمقاصدها والعقول بمداركها .
- 5 للتأويل علاقة وطيدة بالخطاب الديني في جميع الديانات قديما وحديثا، كما وظف للأغراض منذ عصور في الخطاب السياسي.
- 6 للتأويل أصبح نظرية في الفهم سواء تعلق الأمر بالعلوم الإنسانية أو العلوم الدينية على وجه الخصوص.
- 7 للتأويل الملتمزم بالضوابط بعيد عن الأهواء لا يتعارض مع الدين ولا يذمه الدين.
- 8 ضرورة التأكيد على الأصول الموجودة في التأويل، والمتصلة بالقرآن الكريم ثم بالتراث العربي الإسلامي. و قد أشار إليها الجابري في كتابه مدخل إلى القرآن الكريم الجزء الأول.
- 9 أكبر مشكلة تواجه النص هي مشكلة القراءة والفهم فقد تعطى للنص الواحد مفاهيم وقراءات متعددة، إن لم تضبط بضوابط علمية.
- 10 - المفاهيم تتباين تباين واضحا كلما تعلق الأمر بالدين وقضايا المجتمع (صراع المفاهيم).
- 11 - نصر حامد أبو زيد من أهم النماذج النقدية التي غامرت في حفر الموروث الثقافي العربي الإسلامي المتصل بالقرآن الكريم، وذلك في محاولة منه لبعث الرؤية الداعية إلى فتح القراءة والتفسير على أساس التعدد والاختلاف.

- 12 - التأويل سلاح إبديولوجي خطير قد يستخدم أنيا كحيلة ظرفية من أجل تمرير خطابات ومشاريع.
- 13 - استطاع خطاب نصوص نصر حامد أبو زيد أن يطرح أسئلته جريئة لا يزال بعضها يشكل عقبة في عرف الفكر الإسلامي عموما، كما نجح هذا الخطاب في تفكيك آليات الخطاب الديني التراثي (المعتزلي، الصوفي...)، والحديث النهضوي المعاصر بمختلف اتجاهاته المشددة والمعتدلة، واليسارية الإسلامية، كما تمكن من زحزة الرؤية المتأفيريكية المنسوبة حول الشخصيات أو النصوص الدينية الشارحة (كتب التفسير) وهذا مصدقا لقول أبو حنيفة في حثه على عدم التعامل مع اجتهادات السلف على أنها وحي منزل "هم رجال ونحن رجال أيضا".
- 14 - تعتبر تحليل نصر حامد أبو زيد لإشكالية النص والتأويل ممارسة لا تخلو من إشكاليات واستفهامات فقد واجهت انتقادات أثناء حياته ومماته) ومع ذلك فقد عمل الباحث وبذل وسعه من أجل تجاوزها فكريا.
- 15 - إن ممارسة نقد الخطاب الديني أو بالأحرى "نقد العقل الديني" ممارسة تمهد لها يمكن أن يكون ثروة في الفكر الإسلامي، بعد تلك التي أحدثها ناقد العقل إيمانويل كانط في الفكر العربي.
- 16 - خطاب نصر حامد أبو زيد خطاب ناقد ولكن يخلو أن يكون منقودا هو الآخر، لكونه كأبي خطاب آخر ينطوي على ما هو مسكوت عنه ومضمر بداخله، فهناك (من دون شك) عوامل سوسيو ثقافية وقواعد خافية مسؤولة عن تحديد معالم رؤيته النقدية.
- 17 - وفي الأخير يمكن القول بأن أغلب قضايا وإشكاليات الفكر العربي المعاصر تنتظم بشكل أو بآخر في عبارة "قراءة التراث العربي الإسلامي" لأن هذا القسم في التراث ركيزة محورية في الثقافة العربية الإسلامية عامة. ولكن محاولة تعيين هذه القراءة من جديد قد تضع المفارقة والصدام بين نسيج المجتمع الإسلامي.

وهكذا حدثت الصدمة إثر محاولة نصر حامد أبو زيد تطبيق قراءته على التراث، وعلى آليات الخطاب الديني بالخصوص، ومن قبله طه حسين وعلي عبد الرزاق. فهل يمكن أن يكون تحديث العقل الإسلامي مرهونا بصمة الفكر؟ أليست الحداثة في مفهومها العلمي فعلا نقديا تجاوزيا لوعي الصحة وثمره من ثمار القطيعة مع الرؤية التقليدية للذات محصلة لإنفتاح الوعي على عقلانيات وإرث وأدوات الآخر؟ لأم تحدث أراء "مارتن لوثر" التورية صدمة في العقل المسيحي الأروبية انبثقت على إثرها الحضارة الغربية من جديد؟ وهل سيأتي اليوم الذي يحول فيه العقل الإسلامي واقعة بفعل صدمة فكرية إلى مشروع حادثة ما؟ وما هي حظوظ نجاحه وإخفاقه في ذلك؟ لعل الإجابة عن ذلك سيعبد الطريق -مستقبلا- لدراسات قد تكون أكثر عمقا وأنضج ووعيا بأبجديات النقد والمسائلة، لعل ما سبق من الدراسات -بمختلف توجهاتها الفكرية و الإيديولوجية هي مجرد غرهاقات لفكر أكثر تفتحا ووعيا للنهوض بواقع الأمة.

قائمة المراجع:

- 1 ابن منظور: لسان العرب - دار التراث العربي - بيروت - لبنان - ط 3، 1993 - ج11 ص33.
- 2 ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن - دار التراث - القاهرة - ط 2 - 1973.
- 3 أبو عباس أحمد بن تيمية: مجموع الفتاوى - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية - 2004 - ج4.
- 4 أبو محمد يوسف ابن الحافظ أبي الفرج الجوزي - الإيضاح لقوانين الإصلاح - مكتبة مدبولي - مصر - 1995.
- 5 أحمد الريسوني: في حدود فتح النص للتأويل وشروطه - محاورة مع الدكتور - مجلة المنطق - العدد 9 - 2009.
- 6 أحمد العملي: في أسس الحداثة - سبينوز وتأويل النصوص المقدسة - مجلة مقدمات - ع19..2004.
- 7 نصر حامد أبو زيد - إشكالية القراءة وآليات التأويل - المركز الثقافي العربي - الطبعة الرابعة - 1996.
- 8 نصر حامد أبو زيد - الخطاب والتأويل - المركز الثقافي - الدار البيضاء - المغرب الأقصى - ط 1 - 2000م.
- 9 نصر حامد أبو زيد - مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن - المركز الثقافي العربي - 1991.
- 10 نصر حامد أبو زيد: إشكالية تأويل القرآن قديما وحديثا - بحث ألقاه في محاضرة في دمشق - 2003 - ونشر ضمن كتابه: التجديد والتأويل والتحرير بين المعرفة العلمية والخوف من التفكير - المركز الثقافي العربي - بيروت - الدار البيضاء - 2010.
- 11 نصر حامد أبو زيد: مفهوم النص - الهيئة المصرية للكتاب - 1990.

قائمة المراجع

- 12 تخر حامد أبو زىء: الإمام الشافعى وتأسيس الاءىولوجىة الوسطىة - مكتبة مءبولى - ط 2 (النءة) - القاهرة مصر - 1996.
- 13 تخر حامد أبو زىء: بالتفكىر فى زمن التفكىر ضء الجهل والزىف والءرافة- مكتب مءبولى - القاهرة - ط2 - 1995.
- 14 تخر حامد أبو زىء: فلسفة التأوىل - ءراسة فى تأوىل القرآن عنء مءى الءىن بن عربى - المركز الثقافى العربى - الءار البىضاء - ط5. ط2 (النءة) - القاهرة مصر - 1996.
- 15 تخر حامد أبو زىء: بالتفكىر فى زمن التفكىر ضء الجهل والزىف والءرافة- مكتب مءبولى - القاهرة - ط2 - 1995.
- 16 تخر حامد أبو زىء: فلسفة التأوىل - ءراسة فى تأوىل القرآن عنء مءى الءىن بن عربى - المركز الثقافى العربى - الءار البىضاء - ط5.
- 17 أءمء رضا: معجم متن اللغة - منشورات ءار مكتبة الءىاة بىروت- لبنان - 1380،1960.
- 18 أءمء معنصم السىء: الهمىرمنىوطىقا فى الواقع الإسلامى بىن ءقائق النص ونسبىة المعرفة - ءار الءىءى بىروت الطبعة الأولى 2009.
- 19 للزركشى: البرهان فى علوم القرآن - ءار الفكر للنشر والطباعة والتوزىع - ط3 - 1980 - ج2.
- 20 للسىء أءمء عبء الغفار: التصوىر اللغوى عنء الأصولىىن - مكتابات عكاظ للنشر الإسكندرىة ط1 1401، 1981.
- 21 للشرفى الرضى: ءقائق التأوىل فى متشابه التنزىل - ءار المهاجر - بىروت - لبنان.
- 22 للءاضى عبء الجبار: متشابه القرآن - ءار التراث - القاهرة 1969.
- 23 للءاموس الموسوعى الجءىء فى علوم اللغة.
- 24 للآمءى - الإءكام فى أصول الإءكام - ءار الصمىعى - المملكة العربىة السعودىة - ج 3 - 2003.

قائمة المراجع

- 25 جميل صليبا: المعجم الفلسفي - الشركة العالمية للكتاب - بيروت لبنان - 1994.
- 26 حامد ناصر الظالمي: اسبينوزا وأثره في منهجية تحقيق النصوص عند المحدثين - مجلة أبحاث البصرة - ع28 - ج1 - 2001.
- 27 حيرش بغداد: "نصر حامد أبو زيد، المشروع التثويري المجهض" كتابات معاصرة - مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية - مجلد 17 - ع68 - 2008.
- 28 حاكنية مليكة: هيرمنيوطيقا النص أو فلسفة تأويل النصوص - محاولة لتحديد المصطلح - المركز الجامعي البويرة - بحث على النت.
- 29 رقية جابر العلواني: قراءة في ضوابط التأويل وأبعادها المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة، موقع الدكتوراة.
- 30 رقية جابر العلواني: أثر الظرفية التاريخية والفكرية في ظهور القراءانيين الجدد - جامعة الشارقة 2005. موقع الدكتوراة.
- 31 رقية جابر العلواني: إبراز الخلفيات التاريخية لنشأة حركة نقد النصوص الدينية - جامعة الشارقة 2005 موقع الدكتوراة.
- 32 سناء عبد الرحيم: السياق القرآني في تفسير الومخشري - مجلة آفاق الإماراتية - السنة 21، العدد: 81 - مارس 2013.
- 33 شرفي عبد الكريم: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ط 1 الدار العربية، بيروت لبنان 2007.
- 34 صلاح قنصوة: الموضوعية في العلوم الإنسانية - عرض نقدي لمناهج البحث - دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع 2007.
- 35 عادل فاخوري: تيارات في السيمياء دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت لبنان - ط 1 - 1990.
- 36 عادل مصطفى: فهم الفهم - مدخل إلى الهيرمنيوطيقا - بيروت - دار النهضة العربية - ط 1 - 2003.

قائمة المراجع

- 37 عادل سعيد توفيق: في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2002.
- 38 عبد الرحمان بودلال: الاتجاه الهرمنيوطيقي وأثره في الدراسات القرآنية: - بحث مقدم لندوة القراءات الجديدة للقرآن الكريم - كلية الآداب وجدة - 2008.
- 39 عبد الباسط سلامة هيكل: الجذور التراثية لتأويلية نصر أبو زيد، مؤسسة مؤمنون بلا حدود - 2015.
- 40 عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز - تحقيق محمود شاكر - دار المدني - جدة - ط 3 - ج 1 - 1992.
- 41 عبد القاهر الجرجاني: التعريفات - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان - 2006.
- 42 عبد المالك مرتاض: التأويلية بين المقدس والمدنس، مجلة عالم الفكر - بيروت لبنان - مجلد: 33، ع 1 - 2000 - ع 2 - 2004.
- 43 علي حرب: أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر (مقاربات نقدية وسجالية) - دار الطليعة - بيروت - ط 1 - 1994.
- 44 علي شنوفي: الدواعي الأولى للتأويل: الأزمات السلطوية - المجلة التونسية للدراسات الفلسفية - العدد الرابع - جوان 1985.
- 45 فاضل ثامر: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي - المركز الثقافي العربي - المغرب - 1994.
- 46 فؤاد بوعلي - الأسس المنهجية للقراءة الحداثية للنص القرآني: محاولة في التفكيك والتأسيس - مجلة التسامح - العدد 24 - 2008.
- 47 فتنديل عبد الرازق - الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي - دار التراث - القاهرة - 1984.

قائمة المراجع

- 48 لمرزوق العمري إشكالية تاريخية النص الديني في الخطاب الحدائي الغربي المعاصر - دار الأمان - الطبعة الأولى 2012.
- 49 محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد - دار الفكر العربي - القاهرة - 1996.
- 50 محمد أديب صالح: تفسير النصوص في الفقه الإسلامي - المكتب الإسلامي - بيروت - ط3 - 1984 - ج1.
- 51 محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن - دار النهضة - مصر - ط13 - 2012.
- 52 محمد المقرن: في مفهوم القراءة والتأويل - مجلة عالم الفكر.
- 53 محمد شوقي الزين: مفتاح التأويل في قراءة التراث الإنساني - مجلة فكر ونقد السنة الثالثة - العدد 28 أبريل 2000.
- 54 محمد محفوظ: الفكر الإسلامي المعاصر ورهانات المستقبل - الطبعة الأولى - المركز الثقافي - العربي - بيروت - 1999.
- 55 محمد محمود ربيع: أسرار التأويل - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - 1993.
- 56 محمود توفيق محمد سعد: دلالة الألفاظ عند الأصوليين.
- 57 مجلة فكر ونقد: العدد 25 - جانفي 2000.
- 58 محمد شوقي الزين - كلايس هيرمنيوطيقا مفتاح التأويل في قراءة التراث الإنساني.
- 59 ياسين عبد الجواد: السلطة في الإسلام - العقل السلفي بين النص والتاريخ - المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - ط2 - 2000م - ص13.
- 60 يوسف القرضاوي: من محاذير التفسير: سوء التأويل، مجلة إسلامية المعرفة العدد 8 - إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي - 2008.

مراجع أجنبية:

- 1 - ايدسور ابشتاين، الحركات الحديثة في اليهودية، ترجمة عرفان عبد الحميد وهو جزء من كتابه اليهودية، عرض تاريخي، دار البيارق، ط1، 1997م.
- 2 - جيل كيبيل: يوم الله - ترجمة حسين مروة - دار قرطبة - ط1، 1992.